Journal of
Studies on Arabic Language and Literature

Volume 14, Issue 37 Spring and Summer 2023

https://lasem.semnan.ac.ir/ Vol. 14, No 37, 2023 ISSN (Online): 2538-3280 ISSN (Print): 2008-9023

Forming Picture between Dictionary's Meaning and Synthetic's Meaning

Hussein Habeeb Waqqaf*, Nour Maamoun Yahia**

Scientific- Research Article **PP: 53-78** **DOI: 10.22075/lasem.2023.8239**

How to Cite: Habeeb Waqqaf, H., Maamoun Yahia, N. Forming Picture between Dictionary's Meaning and Synthetic's Meaning. *Studies on Arabic Language and Literature*, 2023; 14 (37): 53-78. DOI: 10.22075/lasem.2023.8239

Abstract:
This research studies the relationship between the technique form and the expression forming.
It shows the difference in meaning between the pronounciation in dictionary and structure and what it connects to, like technical forming and what it includes of the connection between the grammatical structure in meaning and the way to discoverthe meaning throughout the structure, and the link of the structures in language in giving the meaning.
And the influence of the different structures in forwarding (sending) meanings.
As ,I will search in semantical leaving in pronounciation , during the study of the difference between the hidden meaning in pronouynciation only and the meaning that'd we have when we build (form) vocabularies in the different uses .
And I will also search in the indication in sending semantics and the pronounciation in general.
And I`ll talk about the technique use for pronounciation to show the way how we use the pronounciation in expressing in uncommon way which gives a new meaning.

Keywords: Departing, Syntaxe, semantic, indications.

*- Professor in the Department of Arabic Language, literature college and human sciences, Tishreen University, Latakia, Syria. (Corresponding Author) Email: dr.h.wakkaf.@maktoob.com
**- Master's student, literature college and human sciences, Tishreen University, Latakia, Syria.
Receive Date: 2022/04/19- **Accept Date:** 2022/08/28.

©2023 **The Author(s):** This is an open access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY 4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, as long as the original authors and sources are cited. No permission is required from the authors or the publishers.

Volume 14, Issue 37 Spring and Summer 2023

The Sources and References:

- **The Holy Quran**.
1- Abu Tammam, Al-Diwan, **Sharh Al-Khatib Al-Tabrizi**, ed.: Muhammad Abdo Azzam, 3rd edition, Dar Al-Maaref, Cairo, d.T.
2- Al-Jarjani, Abdel-Qaher, **Evidence of Miracles**, edited by: Mahmoud Muhammad Shaker, 5th edition, Al-Khanji Library - Cairo, 1424 AH - 2004 AD.
3- Ibn Jinni, **Al-Khassas**, edited by: Abdul Hamid Hindawi, 3rd Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1429 AH - 2008 AD.
4- Hassan, Tammam, **The Arabic language, its meaning and structure**, Dar Al-Thaqafa, 1994.
5- Hassan, Tammam, **Origins / An Epistemological Study of the Origins of Arabic Linguistic Thought** / World of Books - Cairo, 1420 AH - 2000 AD.
6- Al-Zubaidi, **The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary**, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1428 AH - 2007 AD.
7- Ibn Abi Salma, Zuhair, **Al-Diwan**, explained and presented to him: a. Ali Hassan Faour, 1st Edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1408 AH-1988 AD.
8- Sibawayh, **The Book**, edited by: Abdel Salam Muhammad Haroun, 3rd edition, Al-Khanji Library - Cairo, 1427 AH - 2006 AD.
9- Al-Shawkani, **1250 AH**, Fath al-Qadir, 2nd floor, Mustafa al-Babi al-Halabi Press, Egypt, 1383 AH-1964 AD.
10- Sahrawi, Dr. Massoud, **The Pragmatics of Arab Scholars**, 1st Edition, Dar Al-Tali`a - Beirut, 2005.
11- Al-Amiri, Labid bin Rabi'a, **Al-Diwan**, taken care of by: Hamdo Tammas, I 1, Dar Al-Maarifa, Beirut - Lebanon, 1425 AH - 2004 AD.
12- Al-Askari, Abu Hilal, **Differences in Language**, edited by: Muhammad Ibrahim Selim, d., Dar Al-Ilm and Culture, Cairo, d.T.

Volume 14, Issue 37 Spring and Summer 2023

13- Al-Qazwini, **Clarification in the Sciences of Rhetoric**, edited by: Ibrahim Shams Al-Din, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 2003, 1424 AH.

14- Lashin, Abdel-Fattah**, Grammatical Structures from the Rhetorical Perspective of Abdel-Qaher Al-Jarjani**, Dar Al-Marikh, Riyadh, d.T.

15- Ibn Manzur, **Lisan al-Arab, correction**: Amin Muhammad Abd al-Wahhab and Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi, House of Revival of the Arab Heritage - Foundation for Arab History, Beirut - Lebanon.

16- Ibn Al-Anbari, Abu Al-Barakat Abdel-Rahman Bin Muhammad Bin Abi Saeed, **Equity in Dispute Issues and with him the Book of Relief from Equity**, edited by: Muhammad Muhyi Al-Din Abd Al-Hamid, d.T, Dar Al-Tala'i, 2009.

17- Al-Nasfi, Abu Al-Barakat, **710 AH**, Exegesis of the Glorious Qur'an, d., Umayyad Library, Beirut - Damascus, Al-Ghazali Library, Hama, d.T.

18- Haddara, Dr. Muhammad Mustafa, **In Arabic Rhetoric** / Ilm Al Bayan / I 1, Dar Al Uloom Al Arabiya, Beirut - Lebanon, 1409 AH-1989 AD.

مجلة دراسات في اللّغة العربيّة وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة

السنة الرابعة عشرة، العدد السابع والثلاثون، ربيع وصيف ١٤٠٢هـ ش/٢٠٢٣م

تشكيل اللغة الشّعريّة بين المعيار والاختيار

حسين حبيب وقّاف *؛ نور مأمون يحيى **

مقالة علميّة محكّمة

صص ٧٨- ٥٣

DOI: 10.22075/lasem.2023.8239

الملخّص:

يدرس هذا البحث العلاقة بين تشكيل المستوى الفنّيّ وتركيب الألفاظ، مبيناً الفارق المعنوي بين اللفظ المعجمي واللفظ في التركيب، وما يرتبط بذلك من تشكيل فني، ثم ما يتضمنه من علاقة التركيب النحوي بالمعنى، وكيفية ظهور المعنى من خلال التركيب، وصلة أنواع التركيب في اللغة بأداء المعنى، وتأثير التركيبات المختلفة في توجيه المعاني، كما يبحث في الانزياح الدلالي في اللفظ، من خلال دراسة الفارق بين المعنى الكامن في اللفظ مفرداً والمعنى الذي ينتج لدى تركيب المفردات لدى الاستخدامات المختلفة، ويبحث أيضاً في القرائن الدالة وأثر هذه القرائن في توجيه الدلالة وظهور المفهوم من اللفظ عموماً، ويتحدّث في الاستخدام الفني للألفاظ فيبيّن أنّ كيفية استخدام اللفظ في التّعبير استخداماً ليس مألوفاً يُنتج دلالة جديدة. ويركّز البحث أيضاً على مسألة الأغراض والمقاصد المتفرّعة من التّراكيب النّحْويّة، كأغراض التّقديم والتّأخير في علاقات الإسناد، وما ينتج عنها من انحراف دلاليّ يلفت انتباه المتلقّي إلى معنى دلاليّ جديد. ويعتمد هذا الجانب حصول الفائدة من خلال مراعاة حال المخاطَب؛ فلكلٍّ بِنية تركيبيّة معناها ومقصدها وغايتها التّداوليّة، ولكلّ صيغة لفظيّة إبلاغيّة توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه. ويبيّن البحث أنَّ اللّغة لفظ معيّن يؤدّيه متكلّم لغرض خاصّ في مقام ومقال محدّدين، إلى مخاطب معلوم في الذّهن. ويولي البحث الصّيغة الصّرفيّة اهتماماً، فللصّيغة الصّرفيّة دورٌ كبير في التّوجيه الدّلاليّ للكلمة؛ من حيث علاقة بِنية الكلمة أو صيغتها الصّرفيّة بمعانيها الوظيفيّة.

كلمات مفتاحيّة: الانزياح، التّركيب، الدّلالة، الإسناد، القرائن.

مُقدَّمة:

* – أستاذ في قسم اللّغة العربيّة، جامعةتشرين،اللّاذقيّة،سورية.(الكاتبالمسؤول).الإيميل: dr.h.wakkaf.@maktoob.com

** – ماجستيرة في قسم اللغة العربيّة بكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة تشرين، اللّاذقيّة، سورية.

تاريخ الوصول: ١٤٠١/٠١/٣٠هـ.ش= ٢٠٢٢/٠٤/١٩م – تاريخ القبول: ١٤٠١/٠٦/٠٦ هـ.ش= ٢٠٢٢/٠٨/٢٨م.

لعلّ أهمّيّة اللّغة العربيّة ترجع إلى أنّها تنماز بنظم تركيبيّ مختلف؛ جعل نظامها اللّغويّ فريداً من نوعه لدرجة أنّك إذا أردت أن تعوّضَ الكلمة الواحدة في التّركيب بكلمة غيرها، لا يمكن أن تأخذ كلمة ثانية مكانها بالجمال نفسه واللّطف المنساب في تعبيره الخاصّ، سواء من حيث اللّفظ أو من حيث أداء المعنى المراد المقصود بعينه.

وقد تعدّدت مباحث اللّغة العربيّة إلّا أنّ التّقديم والتّأخير قد نال الحظّ الأوفر من البحث والدّراسة والتّمحيص، وعماد التّقديم والتّأخير هو المسند والمسند إليه كما هو معروف.

ويعنى البحث بإيجاد علاقة وثيقة تربط البحث الدّلاليّ بعلوم العربيّة؛ نحوها وصرفها وبلاغتها، ومعالجتها معالجة موضوعيّة من خلال نظرات دلاليّة تجمع البحث في الظّواهر النّحْويّة المختلفة، إلى البحث في الصّيغة الصّرفيّة؛ حيث سيكون العمل تحليلاً للعلاقة بين الصّيغة الصّرفيّة والتّركيب النّحْويّ وما ينتج عنها من آثار معنويّة تتضافر لتشكّل صورة الدّلالة في النّصّ، مع الوقوف على القرائن المختلفة الّتي تسهم في ذلك..

وسأتبع في البحث المنهج الوصفيّ؛ وهو بحث في أساسه يعتمد على الوصف والملاحظة والتّحليل والمقارنة ثمّ الاستنتاج والاستنباط، حيث سيكون العمل توصيفاً وتحليلاً لمعطيات البحث. ثمّ لا بدّ للبحث من الوقوف على معطيات نحْويّة وصرفيّة وبلاغيّة ودلاليّة وجماليّة بالملاحظة البسيطة والمنظَّمة؛ للوصول إلى غاية يقتضيها البحث وهي ربط الدّلالة بالتّركيب النّحْويّ من جهة والصّيغة الصّرفيّة من ثانية.

التّركيب النّحْويّ والمعنى:

لقد كانت نظريّة النّظم عند عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) واسعة الطّيف، فقد جمع فيها ما فرّقه اللّغويّون في إطار موحّد، ولا سيّما بين علم النّحو وعلم المعاني؛ فهما عنده متكاملان. ومن أهمّ ما فصّل فيه الجرجانيّ مسألة الأغراض والمقاصد المتفرّعة من التّراكيب النّحْويّة، كأغراض التّقديم والتّأخير في علاقات الإسناد؛ فقد يتبادل طرفا التّركيب موقعهما منحرفَين عن الأصل الموضوع لهما لتحقيق غايات معيّنة، تلفت انتباه المتلقّي إلى أنّ ثمّة انحرافٌ دلاليٌّ يتنبّه إليه تلقائيّاً بسبب انزياح غير اعتياديّ، فيحدث حينها المعنى الدلاليّ الجديد.

تقديم المسند إليه: ويكثر في سياق الوعد والضّمان؛ لأنّ من تعده ومن تضمن له من شأنه أن يعترضه الشّكّ في تمام الوعد، ولهذا فهو أحوج إلى التّوكيد، فتقول: أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم

بهذا الأمر[١]، فتقدّمَ الفاعل "أنا" ويكثر أيضاً تقديم المسند إليه في سياق المدح كقولهم: أنت تجود حين لا يجود أحد[٢]. فتقدَّم الفاعل (أنتَ)؛ لأنّ المادح عليه أن يمنع تسرّب الشّكّ فيما يمدح به. وممّا يفيده تقديم الاسم "المسند إليه" أيضاً التّخصيص والقصر[٣]. أما في قوله تعالى: (لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ) (الروم: ٤)؛ فهنا أفاد تخصيصه بالخبر الفعليّ، وقصره بالخبر عليه، كما يفيد تقديم المسند إليه التّخصيص لأنّ الفعل إذا بُني على نكرة يفيد تخصيص العين، ولا ثالث[٤]، "نحو: رجل جاءني، أي: لا امرأة أو رجلان."[٥] والمتكلّم بتقديمه المسند إليه يسعى لتمكين الخبر أي المعنى المخبر عنه في ذهن السّامع – كما سبقت الإشارة إليه - لأنّ في تقديم المبتدأ تشويقاً إليه، واهتماماً به.

وتتعدّد أسباب تقديم المسند؛ ومنها ما يكون لتخصيص المسند بالمسند إليه، كقوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين) (الكافرون: ٦)، أما في قولنا: (قائمٌ هو) فردّ على المتشككين في القيام نفسه أو عدمه فيخصّصه بأحدهما[٦]، بعد تقديم المخصص له ففي ذلك تنبيه ولفت انتباه، ومنه قولهم: تميميّ أنا. وعليه قوله تعالى: (لافيها غولٌ ولا هم عنها يُنزفون) (الصافات: ٤٧)، أي بخلاف خمور الدّنيا فإنّها تغتال العقول؛ "ولهذا لم يقدّم الظّرف في قوله تعالى: (لا ريب فيه)[٧] لئلّا يفيد ثبوت الرّيب في سائر كتب[٨] الله تعالى[٩].

وظاهرة التقديم والتأخير بثباتها على ما تقدمت عليه وتأخرت، تحمل فروقا دقيقة؛ كالفرق بين "زيد منطلق" و"زيد المنطلق"، فليست هذه كتلك من حيث اعترتها زيادة تعريفية تغير من وجهة القصد، لذا يحلّل عبد القاهر الجرجانيّ "المعاني والمقاصد" المترشّحة عن ظاهرة "التّعيين"

---

[١] ينظر: عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٣٤.

[٢] ينظر: المصدر السابق، ص١٣٤.

[٣] ينظر: المصدر السّابق، ص١٣٤، ١٣٥.

[٤] ينظر: عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٤٢.

[٥] المصدر السابق، ص١٤٣.

[٦] ينظر: الخطيب القزوينيّ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص٨٧.

[٧] ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين﴾ (البقرة:٢).

[٨] هكذا في الأصل، وأظنّها "كتاب".

[٩] الخطيب القزوينيّ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص٨٧-٨٨.

وأحواله المختلفة "ومن فروق الإثبات أنّك تقول: "زيد منطلق" و"زيد المنطلق" و"المنطلق زيد"، فيكون لك في كلّ واحد من هذه الأحوال غرض خاصّ وفائدة لا تكون في الباقي.[١] فإذا كان السامع جاهلا بتعيين الفاعل أعلمته به أولاً فقلت زيد، وتعرف مسبقاً أنه يجهل أيضا قيامه بحدث الانطلاق فأخرته ضرورة لتخبر به، فتقول: "منطلق" أي: "زيدٌ منطلقٌ"؛ لأنه من شروط الإخبار أن تأتي بما يجهله السامع، لذا "كان كلامك مع من لم يعلم أنّ انطلاقاً كان، لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداءً، وإذا قلت: "زيد المنطلق"، كان كلامك مع من عرف أنّ انطلاقاً كان، إمّا من زيد وإمّا من عمرو، فأنت تعلمه أنّه كان من زيد دون غيره".[٢]

وتلخيص هذا النوع من الإخبار أنه «يجب أن يكون عمّا يعرف بما لا يعرف، فإذا قلت "المنطلق زيد"، فالمنطلق معلوم والشّخص مجهول، وإذا قلت: زيد المنطلق، كان المقصود إمّا حصر انطلاق معيّن أو حصر حقيقة الانطلاق إمّا تحقيقاً أو مبالغة»،[٣] والفرق دقيق بين "المنطلق زيد" و"زيد المنطلق"، فتبعا لقاعدة الإخبار أنه يجب أن يؤتى بما هو غير معلوم وجب اعتبار "المنطلق زيد" أن "زيداً" زيل به الشك عن الذات "فالصّفة حين تُقدَّم وتُجعل مبتدأ يراد بها الذّات، والاسم الذي يقع خبراً لا يراد منه الذّات وإنّما يراد منه المفهوم، والسّبب أنّ المستمع قد عرف ذلك الشخص عينه والمجهول عنده اتّصافه بكونه صاحب هذا الاسم.[٤]

ولكن ما نريد أن نضيفه هنا أنّ عبد القاهر يجعل «حصول الفائدة" متوقّفاً على مراعاة حال المخاطَب، وذلك في قوله: «كان كلامك مع من لم يعلم أنّ انطلاقاً كان، لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداءً»[٥]، وأيضاً في قوله: «كان كلامك مع من عرف أنّ انطلاقاً كان إمّا من زيد وإمّا من عمرو، فأنت تعلمه أنّه كان من زيد دون غيره»[٦]. فقد كانت حال المخاطَب ضابطاً مؤثّراً في توجيه كلام المتكلّم.

---

[١] عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٧٧.

[٢] المصدر السابق، ص١٧٧.

[٣] عبد الفتّاح لاشين، **التراكيب النحوية من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ**، ص١٠٠، يُنظر هامش الصّفحة.

[٤] **المصدر نفسه**، ص١٠٦، يُنظر هامش الصّفحة.

[٥] عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٧٧.

[٦] **المصدر نفسه**، ص١٧٧.

لكلّ بِنية تركيبيّة، إذن، معناها ومقصدها وغايتها التّداوليّة، ولكلّ صيغة لفظيّة وظيفة إبلاغيّة توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه، ومن أهمّ تلك الملابسات والأغراض مراعاة حال السّامع والفائدة التي يجنيها من الخطاب، وهذا ما يؤكّده عبد القاهر في موضع آخر: «وأمّا قولنا: "المنطلق زيد"، والفرق بينه وبين أن يقول: "زيد المنطلق"، فالقول في ذلك أنّك- وإن كنت ترى في الظّاهر أنّهما سواءٌ من حيث كان الغرضُ في الحالين إثباتَ انطلاق قد سبق العلم به لزيد-فليس الأمر كذلك، بل بين الكلامين فصل ظاهر. وبيانه أنّك إذا قلت: "زيد المنطلق"، فأنت في حديث انطلاق قد كان وعرف السامع كونه، إلا أنّه لم يعلم أمن زيد كان أم من عمرو؟ فإذا قلت: "زيد المنطلق"، أزلت الشّكّ وجعلته يقطع بأنّه كان من زيد، بعد أن كان يرى ذلك على سبيل الجواز. وليس كذلك إذا قدّمت "المنطلق" فقلت: "المنطلق زيد"، بل يكون المعنى حينئذٍ على أنّك رأيتَ إنساناً ينطلق بالبعد منك، فلم تثبتْهُ، ولم تعلم أزيد هو أم عمرٌو؟ فقال لك صاحبك: "المنطلق زيد"، أي هذا الشّخص الذي تراه من بُعْدٍ هو زيد»[1] فالفائدة التي يجنيها السّامع من هذه العبارات مختلفة.

ويشير الجرجانيّ- وهو بصدد تعريف الخبر لإفادة "أل" معنى الجنس- إلى أنّ للقصر وجوهاً: فمن معاني القصر المبالغة كما يتّضح في مثال الجرجانيّ، عمرو هو الشّجاع، أي الكامل في الشّجاعة[2].

ومن معانيه التي يقرّرها له عبد القاهر كون المسند إليه تنطبق عليه الصّفة الموجودة في المسند تمام الانطباق فيصرّح «أنّ للخبر المعرَّف "بالألف واللام" معنى غير ما ذكرت لك، يكون المتأمّل عنده كما يقال "يَعرِف ويُنكِر"، وذلك قولك: "هو البطل المحامي" و"هو المتّقى المرتجى"، تريد أن تقول لصاحبك: هل سمعت بالبطل المحامي؟ وهل حصّلت معنى هذه الصّفة؟ وكيف ينبغي أن يكون الرّجل حتّى يستحقّ أن يقال ذلك له وفيه؟ فإن كنتَ قتلْتَهُ عِلماً، وتصوَّرْتَه حقَّ تصوُّرِه، فعليكَ صاحبَك واشدُدْ به يدَك، فهو ضالَّتُك».[3]

ومن أهم أبواب إفادة التقديم والتأخير ما قدم و أُخّر مع الاستفهام: «فهو من القواعد التّداوليّة التي اهتمّ بتحليلها عبد القاهر الجرجانيّ في "معنى الاستفهام" بالهمزة خصوصاً أنّ ما ولِيَ الهمزة هو

---

[1] **المصدر نفسه**، ص١٨٦.

[2] ينظر: **المصدر نفسه**، ص١٨١.

[3] **المصدر نفسه**، ص١٨٢.

المشكوك فيه و المستفهم عنه»[١]، فإذا قلت: «"أفعلت؟" فبدأت بالفعل، كان الشّكّ في الفعل نفسِه، وكان غرضُك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: "أأنت فعلت؟" فبدأت بالاسم كان الشّكّ في الفاعل، مَنْ هو، وكان التّردُّدُ فيه»[٢] فما ينبغي أن يُعلم من اللغة علماً ضروريّاً في أسلوب الاستفهام -في تصوّر عبد القاهر- «أنّه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم».[٣]

وعلى هذا الأصل حمل عبد القاهر معنى قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فعلْتَ هذا بآلهتِنا يا إبراهيمُ﴾ (الأنبياء: ٦٢) بأن ليس قصد المتكلّمين بهذا الكلام «أنّ كَسْرَ الأصنام قد كان، ولكن أن يقرّ بأنّه منه كان، وكيف؟»[٤]، أي كان قصدهم أنّ يقرّ لهم إبراهيم بأنّه هو الفاعل لهذا الفعل، ولم يكن غرضهم من إبراهيم أن يخبرهم عن الفعل ذاته. فالفعل ظاهر موجود مشار إليه في الآية، ولهذا كان جواب إبراهيم لهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كبيرُهُم هذا﴾ (الأنبياء: ٦٣)، «ولو كان التّقرير بالفعل لكان الجواب: فعلتُ، أو لم أفعل».[٥]

ومن ذلك اشترط عبد القاهر الجرجانيّ معرفة «غرض المتكلّم وقصده في تحديد بعض الوظائف النّحويّة[٦] في كثير من الشواهد العربيّة، ومنها قول أبي تمّام في وصف القلم: لُعابُ الأَفاعي القَاتِلاتِ لُعابُهُ /// وأَريُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ»[٧].

إنّ المحلّل النّحويّ الناظر في البنية التّركيبيّة لهذا البيت الشّعري يرى للوهلة الأولى الإقرار بأنّ "لعاب الأفاعي" مبتدأ، و"لعابه" خبرها.. فالتّحليل البنيويّ بحسب قواعد التّركيب يساوي بين طرفي الإسناد هذين دون خرق أو انزياح، ولكنّ عبد القاهر حسب نظريّته وعنايته بمبدأ القصديّة يجعل من مقصد المتكلّم وغايته من الأهميّة البالغة أنْ يبطل هذا المعنى اعتماداً على غرض المتكلّم وهدفه من إنتاج هذه العبارة، وإلا ذهبت الفائدة وراح الغرض الذي لأجله قيل ما قيل.

---

[١] مسعود صحراويّ، **التداوليّة عند العلماء العرب**، ص١٩٥.

[٢] أبو تمّام، **الدّيوان**، ٢٩٨/٤.

[٣] **المصدر نفسه**، ص١١٢.

[٤] عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١١٣.

[٥] **المصدر نفسه**، ص١١٣- ١١٤.

[٦] ولاسيّما المسند والمسند إليه.

[٧] ينظر: عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص٣٧١.

ذلك أنّ غرض أبي تمّام أن يشبّه مداد قلمه بلعاب الأفاعي، وأن يشبّه مداده بأري الجنى[١] لا العكس.[٢]

والتحليل هذا يدلّ على أنّ الألفاظ هي التّابعة والمعاني هي المتبوعة؛ ودليلنا أنّ المعاني قد جاز فيها التغيّر من غير أن تتغيّر الألفاظ وتزول عن أماكنها[٣]. وما من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين، فلم تعلم المبتدأ من الخبر منهما، حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التّدبّر.[٤] وهو نوع من أنواع الانسجام المرن الذي أحدثه الجرجاني بين علمي النّحو والمعاني.

ويذكر عبد القاهر أنّ ممّا يعضد كلامه تحليل أبي علي الفارسيّ لقول أبي تمّام:[٥]

شاهِدي منكَ أنَّ ذاكَ كذاكا نَمْ، وَإِنْ لَمْ أَنَمْ، كَرَايَ كَرَاكَا

وقد نسبه محقّق كتاب دلائل الإعجاز؛ محمود محمّد شاكر إلى أبي تمّام. والشّاهد فيه أنّ: "كراي" خبر مقدّم، و"كراك" مبتدأ مؤخّر. ومعناه: نم وإن لم أنم فنومك نومي[٦].

أمّا في عبارة: "عتابُك السّيفُ" فالتّحليل النّحويّ فيه مختلف عن تحليل البيت السّابق لاختلاف الغرض في رأي عبد القاهر؛ فالمدقّق البلاغيّ النّحويّ يرى أنّ التركيب موافق للمراد من غرض المتكلّم؛ فالمراد أنّه قد عاتب عتاباً خشناً مؤلماً، فأخذ طرفا الإسناد موضع البدل لا الوصف خلافاً للشّاهد السّابق، ولو قلنا "السيفُ عتابُك" خرجنا إلى أنّ عتابَه قد بلغ من الشّدّة مبلغاً صار له السّيف كأنّه ليس بسيفٍ.[٧]

وعليه، فإنّه من الواجب على المتكلّم البليغ -وعلى القارئ في أثناء تحليله التّراكيب العربيّة ومحاولة فهمها- فهم الغرض من الكلام ومراعاة قصد المتكلّم وحال السّامع- كي لا يقع الغلط في تحليل الجملة.

---

[١] الأري: العسل، اشتارتْه: استخرجته.

[٢] ينظر: عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص٣٧١، ٣٧٢.

[٣] ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣٧٣.

[٤] ينظر: المصدر السابق، ص٣٧٣.

[٥] عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص٣٧٣.

[٦] ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣٧٣.

[٧] ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣٧٢.

وبناءً عليه، فإنّ تقديم اسم الله تعالى في أسلوب القصر بـ إنّما في الآية الكريمة: ﴿ إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، كان "لغرض بيان الخاشِين مَنْ هم، ويخبر بأنّهم العلماء دون غيرهم[١]، «ولو أخّر فذكر اسم الله وقدّم العلماء فقيل: "إنّما يخشى العلماء الله" لصار المعنى على ضدّ ما هو عليه الآن، ولصار الغرض بيان المخشيّ من هو والإخبار بأنّه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء وأن يكونوا مخصوصين بها، كما هو الغرض في الآية».[٢]

وممّا لا يخفى أنّ الإمام الجرجانيّ قد وظّف مفهوم الغرض في تفسير الآية الكريمة، وبيانه الوظيفة النّحويّة الصّحيحة للكلمة على ضوء فهمه الغرض من الكلام وقصد المتكلّم ومراده..

فاللغة كما رآها الباحثون لفظ معيّن يؤدّيه متكلّم لغرض خاصّ في مقام ومقال محدّدين، إلى مخاطب معلوم في الذّهن، حاضر في السّياق التّداوليّ لأداء غرض تواصليّ معيّن، وهي ليست مجرّد منظومة من القواعد المجرّدة[٣]

الصّيغة الصّرفيّة وصلتها بالمعنى:

للصّيغة الصّرفيّة أهمّيّة في التّوجيه الدّلاليّ للكلمة من حيث علاقة بنية الكلمة أو صيغتها الصّرفيّة بمعانيها الوظيفيّة، مثل دلالة صيغة (مفعول، وفاعل، وصيغة المصدر) على اسم الفاعل، والتي أدّت كذلك إلى تعدّد المعاني الوظيفيّة للصّيغة الواحدة مثل دلالة (فعيل) على معنى اسم المفعول، واسم الفاعل، والصّفة المشبّهة به ومعنى المبالغة له، فضلاً عن هذا وذاك فإنّ هذه الدّراسة تتبع الظواهر البلاغيّة والدّلاليّة: كالمبالغة في دلالة الكلمة والالتفات بين الضمائر أو بين الصّيغ والمجاز العقليّ والدّلاليّ للكلمة والأسلوب عن تغيّر بنية الكلمة وصيغتها الصّرفيّة سواء بالعدول او بالزّيادة أو النّقصان .

ينصبّ هذا الجزء من المبحث على دراسة التّغيّرات الدّلاليّة التي تطرأ على معنى الكلمة المفردة؛ لما يطرأ على بنيتها من زيادة أو نقصان، أو لما يحدث لها من عدول بلاغيّ بين أبنيتها وصيغها المختلفة سواء كان هذا العدول مجرّد انحراف لفظيّ أو عدولاً استعماليّاً مجازيّاً، لغويّاً كان

---

[١] ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣٣٨

[٢] **المصدر نفسه**، ص٣٣٨- ٣٣٩.

[٣] ينظر: مسعود صحراويّ، **التداوليّة عند العلماء العرب**، ص٢٠٣.

أم إسناديّاً. فضلاً عمّا يتعرّض له هذا البحث من شرح الأسباب التي أدّت إلى تعدّد معاني الصّيغة الواحدة -على نحو ما عدّد النّحاة المعاني لكلّ صيغة- وتداخل الصّيغ في الاستعمال والدّلالة؟! الأمر الذي يفسّر لنا في النّهاية كيف شذّت بنية الكلمة عن معناها؟ وخرجت في دلالتها عن بابها؟ وكيف انعدمت الفروق الدّلاليّة بين الصّيغ وتعاقبت في الاستعمال وترادفت في الدّلالة، وبذلك يتمحور حديثنا في الصيغة الصّرفيّة على فرضيّات رئيسة وهي:

- زيادة المبنى وعلاقته بزيادة المعنى
- تكثير اللفظ لتكثير المعنى
- أسباب تعدّد معاني الصّيغة وتداخل الصّيغ في الاستعمال والدّلالة
- عدول الصّيغة عن بابها لخصوصيّة بلاغيّة

ولعلّ كلّ ما سبق قد يثير التّساؤل: هل يؤثّر اختلاف الصيغة الصرفيّة في نوعية أو كيفيّة الأداء اللغويّ؟

إنّ القرائن اللفظيّة الدّالّة على أبواب النحو المختلفة هي في جملتها - برأي تمام حسان- عناصر تحليليّة مستخرَجة من الصوتيات والصرف، من ذلك يشترط النحاة صيغة صرفية ما لتكون مبنى لباب نحويّ ما أي قرينة لفظية على ذلك الباب كاشتراط المصدر للمفعول المطلق.[١]

وللصيغة الصرفية دور مهم في تحديد الأداء اللغويّ "نوعية-كيفيّة" والمقارنة بين العبارتين "العصفور داخلَ القفص الآن- والعصفور يدخلُ القفص الآن"، فهل يصحّ اعتبار أنّ كلّاً من العبارتين السابقتين أدّتا مؤدًّىً وحيداً؟!

وأما عن أثر الصّيغة الصّرفيّة من خلال (السّياق) وأداء المعنى السّياقيّ، فإنه من الواضح أن للصّيغة الصّرفيّة أثراً من حيث المعنى الإفراديّ، فتُظهِر هذه الصّيغة "الحَدَث" وهي دلالة "لفظيّة"، بحروفها كـ "ض ر ب" التي دلّت على مصدرها، ألا تراك حين تسمع ضَرَبَ قد عرفتَ حَدَثَه.، ثمّ تُظهِر "الزّمن" وهي دلالة "صناعيّة" تحدّد الزّمن الخاصّ للبنية، وصيغته، ألا تراكَ حين تسمع ضَرَبَ قد عرفتَ. زمانَه، وتليها دلالة الفعل على فاعله "من جهة معناه لا من جهة لفظه، وهي الدّلالة "المعنويّة"، ألا تراك تتبصّر باحثاً عن لزوم حاجة الفعل إلى فاعله.[٢]

---

[١] ينظر: تمّام حسّان، **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، ص٨٦.

[٢] ينظر: ابن جنّيّ، **الخصائص**، ٣٢٨/٢.

ويتبيّن ممّا سبق أهمّيّة الدّلالة الصّناعيّة؛ وأعزو ذلك -احتمالاً- إلى أنّها دلالة محسوسة وللمحسوس دلالة أقوى من حيث اجتماع الحواس فيه.. وما تقع عليه العين يكون ذا حجّة أقوى، والدّليل: العامل اللفظيّ والعامل المعنويّ؛ فاللفظيّ لم يختلف عليه النّحاة من حيث المؤثّر معلوم والمتأثّر ظهر عليه علامة مادّيّة تزول بزوال العامل كقولنا: دخلتُ إلى الغرفةِ، و دخلتُ الغرفةَ؛ فزوال عامل الجرّ أدّى إلى زوال العلامة الإعرابيّة (الكسرة).

أمّا الدّلالة المعنويّة فهي قد تتّسع لعدم العلم الكامل بها وهي مبنيّة على افتراضات غير متحقّقة؛ كقول الكوفيّين إنّ المبتدأ والخبر "مترافعان" بينما البصريّون يرون أنّ العامل في المبتدأ هو "الابتداء"[1]، والحجّة في الأمر أنّ كلّاً من الفريقين يأتيان بدليل قد يثبت حين تتأمّله صحّته؛ ويبقى الأمر مفتوحاً..!

إنّ الصيغة الصرفيّة تدلّ على المعنى والحدث؛ وإذا ما بدأنا بصيغة اسم الفاعل فهي تدلّ على المعنى؛ أي: مَن قام بالفعل، وتدلّ على الحدث.. كصيغة "ضارب"، أما دلالتها على الحدث فهو لفظ الحروف وترتيبها "ض ر ب"، وأمّا دلالتها على المعنى فإنّ صيغة "فاعل" من كلمة ضارب بغضّ النظر عن حروفها دلّت على القائم بالحدث.. فكل من "ضارب" و "طالب" كلمتان ذواتا فرق في الحروف "ض ر ب" "ط ل ب"، غير أنّهما في صيغة واحدة "فاعل".

إنّ التنوّع في الصيغ الصرفيّة يؤدّي إلى حدوث فارق بسيط في المعنى كـ"ضربَ-ضارب" ضربَ زيدٌ عمراً، وضاربَ زيدٌ عمراً.. إذ إنّ الأولى تدلّ على أنّ زيداً الضارب وعمراً المضروب، في حين نجد في الثاني أنّ رفعَ زيدٍ لا يدلّ على كونه فاعلاً وحيداً، ونصب عمرٍو لا يدلّ على كونه المضروب الوحيد، وإنّما تدلّ على مشاركة كلّ منهما الآخر في الضّرب، ومن ثَمَّ لا يمكننا تحديد المحرِّض الأساسيّ لهذا الحدث، وقد جعل ذاك الاختلاف بالألف بين الفاء والعين فرقاً في المعنى.

١- فرضية زيادة المبنى توجب زيادة في المعنى:

إن الزوائد تعطي شكلاً جديداً لمبنى الكلمة فيحمّلها -حتماً- معنى جديداً؛ فليست فهم كاستفهم، فـ (ا س ت) زوائد دخلت على الأصول كما يدخل السؤال على الجواب «ومن ذلك. أنّهم جعلوا (استفعلَ) في أكثر الأمر للطّلب؛ نحو استسقى واستطعم، واستوهبَ، واستمنح،

---

[1] كمال الدّين أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي سعيد بن الأنباريّ، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، ٥٦/١-٥٧.

واستقدم عمراً، واستصرخ جعفراً. فرُتّبتُ في هذا الباب الحروفُ على ترتيب الأفعال. وتفسير ذلك أنّ الأفعال المُحَدَّث عنها أنّها وقعت عن غير طلب إنّما تُفجأ حروفُها الأصولُ، أو ما ضارعَ بالصّنعة الأصول. فالأصول نحو قولهم: طَعِمَ ووهبَ، ودخلَ وخرجَ، وصعدَ ونزلَ. فهذا إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت، ولم يكن معها دلالة تدلّ على طلب لها ولا إعمال فيها. وكذلك ما تقدّمت الزيادة فيه على سَمْتِ الأصل؛ نحو أحسنَ، وأكرمَ، وأعطى وأولى. فهذا من طريق الصّنعة بوزن الأصل في نحو دحرج؛ وسَرْهَفَ، وقَوْقَى وزَوْزَى. وذلك أنّهم جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني، فكلّما ازدادت العبارة شبَهاً بالمعنى كانت أدلّ عليه، وأشهد بالغرض فيه»[١]. وواضح ذلك من تغيّر عمل افعل في تحويله من "كرم" اللازم إلى "أكرم" المتعدي، وهذا التغيير فيه إكثار من تأدية الفعل مؤداه الوظيفي منطلقاً من المعنى ذاته، فمجيئها على سمت الأصول جعلها أدل على معناها وأقوى دلالة.

«فلمّا كانت إذا فاجأت الأفعال فاجأت أصولَ المُثُلِ - أي الصّيغ- الدّالّةِ عليها أو ما جرى مجرى أصولها؛ نحو وهب، ومنح، وأكرم، وأحسن، كذلك إذا أخبرتَ بأنّك سعيتَ فيها وتسبّبتَ لها، وجبَ أن تقدِّمَ أمام حروفها الأصول في مُثُلِها الدّالّة عليها أحرفاً زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدِّمة لها، والمؤدِّية إليها. وذلك نحو استفعل؛ فجاءت الهمزة والسين والتّاء زوائد، ثمّ وردت بعدها الأصول: الفاء، والعين، واللام»[٢].

فلو قلنا مثلا : فليفهم التلميذ المسألة وإلا فليستفهم؛ أي أن ينبّه أستاذه إلى ذلك كأن يطلب منه إفهامه فكانت الزيادة توضّح أنّ «الطّلب للفعل والتماسه والسّعي فيه والتّأتّي لوقوعه تقدّمه، ثمّ وقعت الإجابة إليه، فتبعَ الفعلُ السّؤالَ فيه والتّسبّب لوقوعه. فكما تَبِعَت أفعالُ الإجابة أفعال الطّلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزّائدة التي وُضِعَت للالتماس والمسألة. وذلك نحو استخرج، واستقدَم، واستوهبَ، واستمنحَ».[٣]

أما عن تكرار الحروف فالحقيقة أجلى و أوضح فالزيادة من جنس الأصل ولا سيما إن كانت الزيادة في أقوى الأصول- عين الفعل- مثل كسّر التي توحي بالعنف و التعمد بالقيام بالفعل إكثاراً ومضاعفة «ومن ذلك أنّهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر،

---

[١] ابن جنّيّ، **الخصائص**، ١/ ٥٠٦.

[٢] المصدر السّابق، ١/٥٠٦.

[٣] يُنظر: المصدر السّابق، ١/٥٠٦- ٥٠٧.

وقطّع، وفتّح، وغلّق. وذلك أنّهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوّة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنّها واسطة لهما، ولذلك نجد الإعلال بالحذف فيهما دونها. فأمّا حذف الفاء ففي المصادر من باب وعدَ؛ نحو العِدة، والزِّنة، .، والهِبة. . وأمّا اللام فنحوُ: اليد، والفم. وقلّما تجد الحذف في العين».[١]

٢- تكثير اللفظ لتكثير المعنى (قوة اللفظ لقوة المعنى):

لمعنى الكلمة بشكل إفراديّ تثقيل، فتدلّ الصّيغة على معنى في نفسه كصيغة فعل ثمّ يحدث فيها تثقيل يجعلها ثقيلة لفظاً ومعنىً كـ أفعل/افعوعل، وقد فصّلوا الحديث في تكرار أصول الصّيغة (ف، ع، ل): «فجعلوا المثال المكرّر -أعني باب القلقلة- والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها».[٢]

معنى خَشُنَ دون معنى اخشوشن، لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو. كقولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعشوشب. ومثله حلا واحلولى، ومثل: فعل وافتعل؛ كقدر واقتدر. ويقاس ذلك على قول ابن العباس[٣]، قال الله سبحانه: (أخذ عزيز مقتدر)؛ فمقتدر هنا أوفق من قادر؛ من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدّة الأخذ. وكذا كسب واكتسب[٤].[٥]

وتبقى اللفظة بمفردها تحمل معنى معجميّاً مرناً يوضع في العديد من التّراكيب وقد تعطي هذه الصّيغة قالباً جامداً فور وقوعها في تركيب ما؛ فإنّ الدّلالة الإفراديّة للكلمة تكون صالحة للتّشكيل حسب الدّلالة المحدّدة التي يقوم المتكلّم بإنشائها ولا تظهر تلك الدلالة إلا في التّركيب وشاهده: «ومن ذلك قولهم: صَعِد وسَعِد. فجعلوا الصّاد -لأنّها أقوى- لما فيه أثر مشاهد يُرى، وهو الصّعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك. وجعلوا السّين - لضعفها- لما لا يظهر ولا يُشاهَد حِسّاً، إلا أنّه مع ذلك فيه صعود الجدّ، لا صعود الجسم؛ ألا تراهم يقولون: هو سعيد الجَدِّ، وهو عالي الجَدِّ، وقد

---

[١] المصدر السّابق، ٥٠٧/١.

[٢] المصدر السّابق، ٥٠٦/١.

[٣] ينظر: ابن جنّيّ، **الخصائص**، ٤٦٦/٢.

[٤] في قوله تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)، البقرة: ٢٨٦.

[٥] ينظر: ابن جنّيّ، **الخصائص**، ٤٦٦/٢.

ارتفع أمره، وعلا قدره. فجعلوا الصّاد لقوّتها، مع ما يشاهَد من الأفعال المعالَجة المتجشَّمة، وجعلوا السّين لضعفها، فيما تعرفه النّفس وإن لم ترَه العين، والدّلالة اللفظيّة أقوى من الدّلالة المعنويّة».[١]

إنّ العدول بالكلمة من بنية إلى بنية، أو من صيغة إلى أخرى يؤثّر في دلالتها بتأكيدها والمبالغة فيها، كما يؤثر على دلالة التركيب بما يبعثه فيه من ظواهر بلاغيّة وأسلوبية كالالتفات والمجاز العقلي في الإسناد وغير ذلك من الظواهر البلاغية المنوطة بالإثبات الخبري أو المعنى العقليّ!

٣- تعدّد معاني الصّيغة وتداخل الصّيغ في الاستعمال والدّلالة:

لمعرفة التّعدُّد الوظيفيّ للصّيغة الصّرفيّة الواحدة لابدّ من البحث في الصيغ الصرفيّة المجردة ومعانيها، والصيغ المزيدة ومعانيها، والبحث والتحليل لعلاقة البنية أو الصيغة الصرفيّة بمعانيها الوظيفيّة، ومناقشة الأسباب التي أدّت إلى تعدّد الصيغ الصرفيّة واختلافها على المعنى الواحد، مثل دلالة صيغة (مفعول، وفاعل، وصيغة المصدر) على اسم الفاعل؛ والتي أدّت كذلك إلى تعدّد المعاني الوظيفيّة على الصيغة الواحدة مثل دلالة (فعيل) على معنى اسم المفعول، واسم الفاعل، والصفة المشبهة به ومعنى المبالغة له، فضلاً عن هذا وذاك فإنّ هذه الدراسة تتبع الظواهر البلاغيّة والدلاليّة: كالمبالغة في دلالة الكلمة والالتفات بين الضمائر أو بين الصيغ والمجاز العقلي والدلالي للكلمة والأساليب الناشئة عن تغيير بنية الكلمة وصيغتها الصرفيّة سواءً بالعدول أو بالزيادة أو بالنقصان.

والهدف من كلّ تفصيل سابق هو رصد ظواهر التغيّر الدّلاليّ والبلاغيّ للكلمة والأسلوب، الناشئة عن تغير بنية الكلمة، وذلك في إطار سبر طبيعة العلاقة بين البيئة الصرفيّة وكلّ من دلالة الكلمة والتّركيب..

إنّ «كلّ صيغة تدلّ على معنى وظيفيّ خاصّ كالفاعل والمفعول والمبالغة الخ»،[٢]ولكن قد تشترك الصيغة الواحدة بعدة معانٍ وظيفيّة فإلام نعزو ذلك؟ ومن ذلك اسم الفاعل واسم المفعول اللذان يتحدّدان من السياق عبر القرائن الدّالّة، وكذلك الصيغة "مُ و ـَ ما قبل الآخر" التي قد تكون اسم زمان أو مكان أو مفعول، وكذلك الصّيغة الصّرفيّة التي تحمل حروف زيادة فتدلّ بها على معانٍ متعدّدة؛ وأشهرها: صيغة (استفعل): التي تدل على: المبالغة نحو استطاع، أو قوّة العيب نحو

---

[١] **المصدر نفسه**، ٥١١/١.

[٢] تمّام حسّان، **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، ص١٣٧.

استهتر[١]، أو التحوّل/الصيرورة نحو استحجر[٢]، أو الطلب نحو استفهم "أي سأله أن يفهّمه"[٣]، أو المطاوعة نحو استقام[٤]، أو مصادفة الشيء على صفة نحو استكرم[٥]، أو اختصار حكاية الشيء نحو استغفر[٦] ما السرّ إذن؟! هل هو في حروف الجذر أم في حروف الزيادة؟

انطلاقاً من مبدأ كلّ زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى، لابدّ من توضيح أنّ الأساس في إتاحة معاني حروف الزيادة يكون في المبنى الأصلي.. ففي إنعام النظر بالمعنى المعجميّ نجد ما يلي:

الطوع: الانقياد، ومن مجاز طاع (اتّسع) ، وأطاعه: طاوعه، أي وافقه، واستطاع: أطاق، والاستطاعة للإنسان خاصّة، والإطاقة عامّة، تقول: الجمل مطيق لحمله، ولا تقلْ: مستطيع.[٧]

الاستطاعة عند المحققين: اسمٌ للمعاني التي بها يتمكّن الإنسان ممّا يريده في إحداث الفعل، وهي أربعة أشياء: بِنية مخصوصة للفاعل، وتصوُّرٌ للفعل، ومادّةٌ قابلةٌ لتأثيره، وآلةٌ إن كان الفعل آليّاً، كالكتابة، ولذلك يُقال: فلانٌ غيرُ مستطيع للكتابة: إذا فقد واحداً من هذه الأربعة فصاعداً؛ يضادّه العجز؛ وموجدها مستطيع مطلقاً، وفاقدها عاجزٌ مطلقاً. وفاقد بعضها أولى أن يوصف بالعجز.[٨]

والاستطاعة أخصّ من القدرة.[٩] أي تحتاج إلى مقاومة وجهد أكثر؛ فـ«القادر مالكُ فعله».[١٠]

والفرق بين طاع: الانقياد/ واستطاع: القدرة على الشيء، واضحٌ، هو أنّ الانقياد يكون بالتقليد دون جهدٍ مبالغٍ فيه؛ فالتقليد قد يكون أعمى دون دراسة أو جهد خالص له في حين تكون الاستطاعة بالعزم والقِياد لا الانقياد!!

---

[١] **المصدر نفسه**، ص١٤١.

[٢] **المصدر نفسه**.

[٣] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، مادة (فهم).

[٤] تمّام حسّان، **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، ص١٤١.

[٥] **المصدر نفسه**.

[٦] **المصدر نفسه**.

[٧] ينظر: الزَّبيديّ، **تاج العروس**، مادة "ط و ع".

[٨] **المصدر نفسه**، مادة "ط و ع".

[٩] **المصدر نفسه**، مادة "ط و ع".

[١٠] أبو هلال العسكريّ، **الفروق في اللغة**، ص١٨٧.

فالطّاعة اتّباع المدعوّ الدّاعي إلى ما دعاه إليه، وإن لم يقصد التّبع؛ فهي إنّما تقع رغبةً أو رهبة، في حين أصل استفعل لطلب الفعل بقصده إليه؛ أمّا "استطاع" فتعدّت طلب الفعل إلى مبالغته، وأطاع أوقع الإطاعة بفعلها.[١]

وشاهدها في القرآن الكريم جليٌّ ولاسيّما في سورة الكهف: ﴿قال له موسى هل أتّبعك على أن تعلّمنِ ممّا عُلِّمتَ رشداً. قال إنّك لن تستطيع معيَ صبراً﴾ (الكهف: ٦٦، ٦٧)، ثمّ قال عزّ من قائل: ﴿قال ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبراً﴾ (الكهف: ٧٥)، ثمّ قال: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً﴾ (الكهف: ٩٧).[٢]

وتطوّر كلمة "استطاع" في سياق الآيات واضح، بصيغتها الكاملة والمخفّفة، وسنرى كيف تطوّرت دلالة الصّيغة نفسها بدلالتها الكاملة مع اختلاف موضعها ومقامها ومقصديّتها!!

ففي الآية (٦٧)، قوله: "لن تستطيع" أي لا تطيق أن تصبر، حسب ظواهر معيّنة مشيراً في السّياق إلى علّة عدم الاستطاعة.[٣]

ثمّ في قوله تعالى في الآية (٧٦) : (لك) قال: وهذه أشدّ من الأولى، حيث زاد هنا قرينة (لك)، لأنّ سبب العتاب أكثر وموجبه أقوى؛ وقيل زاد لفظ (لك) بقصد التّأكيد..[٤] وفي هذا السّياق اكتست اللفظة (استطاع) ذات الصيغة ذاتها "استفعل" معنىً أثقل وأقوى وأشدّ دلالة على الصّبر والاستطاعة.

أمّا في الآية (٩٧) الأخيرة، فالمقارنة جليّة بين العمل المعنويّ للفظتي "اسطاعوا" و"استطاعوا"، حيث استخدم "اسطاعوا" لما هو محتاجٌ جهداً أقلّ وهو "أن يظهروه"، في حين نجد في النّقب أنّه كان لا بدّ من استكمال الصّيغة لتبيان مبالغة الفعل لمشقّة تنفيذه أصلاً؛ فانعكست هذه المعاني الدّقيقة على الصّيغة فوردت بالتّخفيف في الأولى والاستكمال في الثّانية، ولا يخفى ما لمجاورة التّاء والطّاء من دقّة وتفصيل نُطقٍ وبعضِ ثِقَلٍ..

---

[١] يُنظر: أبو هلال العسكريّ، **الفروق في اللغة**، ص٢٢١، ٢٢٣.

[٢] الكهف: ٦٦-٦٧، ٧٥، ٩٧. على التّرتيب.

[٣] ينظر: أبو البركات النّسفيّ ت٧١٠هـ، **تفسير القرآن الجليل**، ١٣٨/٣. وينظر: الشوكانيّ ت١٢٥٠هـ، **فتح القدير**، ج٣، ص٢٩٩.

[٤] ينظر: الشّوكانيّ، **فتح القدير**، ص٣٠١- ٣٠٣.

إنّ مرونة الصّيغة الصّرفيّة التي حملت الكلمة ذاتها في موضعين والمعنى ذاتـه فـي جـذر موحَّـد جعلها تحمل تفصيلاً دقيقاً يميّز كلّ استعمال لها عن الآخر؛ فهذه الصّيغة الصّرفيّة كغيرها لا تسمح لمعنى الفعل فقط بل للقرائن السّياقيّة كما في كلمة "لك" وللقرائن المقاميّة كما فـي "اسـتطاعوا" أن تتفاعل وتغيّر في دلالتها لهذا نستخدم صيغة "استفعل" في ذاتها ضمن هذا الجوّ السّياقيّ، وهذا مـا لا يمكن لصيغة أخرى أن تؤدّيه كصيغة افتعل وتفعّل وانفعل وافتعل.

ومن معاني صيغة استفعل (استهتر)، وأشار تمام إلى أنّها (قـوّة العـين) وبـالاطّلاع علـى جـذرها "الهُتْر": ذهاب العقل من كِبَر أو مرض أو حزن، ويُضاف إلى معناها زيادة الهمزة، وأُهْتِـرَ الرجـلُ إذا أولع بالقول في الشيء.[١]

ومع زيادة الألف والسين والتاء تصبح "استُهتِرَ". وفي حديث ابن عمر «اللهـمّ إنّـي أعـوذ بـك أن أكون من المستهتَرين»، المُستَهتَر: الذي كَثُرَت أباطيله، وهو المُبطِل في القول أيضـاً.[٢] ومنـه قـول تمام حسان في مدلوله على (قوّة العيب).

وعلى هذا تكون القاعدة: «كلّ زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى».

وقد نجد كلمتين ذواتي مبنى واحد وصيغة واحدة ولكنّ معناهمـا يتحـدّد مـن خـلال السـياق أي دلالة الجملة على اللفظة ولكنّ الجذر أيضاً قد يحمل في إحدى معانيه ما يشارك الدلالة في إفهـام المعنى؛ كقولنا: (استحجر فلانٌ بكلامي، أي اجترأ عليه) وقولنـا: (اسـتحجر الطّـينُ، صـار حجـراً، وصَلُبَ كالحجر).

الجذر: (حجْر، مثلثّة، من معانيها المنع) وهذا المعنى يقودني إلى العبارة الأولى (استحجر فـلان بكلامي)؛ فعندما يجترئ المرء على كلام أخيه، يَمنَع أخاه من الكلام. «من ذلك حديث أبي هريرة قال فيه ابن عُمَر "لكنّه اجترأ وجبُنَّا" يريدُ أنّه أقدمَ على الإكثار من الحديث عن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم فكَثُرَ حديثُه، وجبُنَّا نحن عنه فقَلَّ حديثُنا».[٣]

والنتيجة من العبارة الأولى: الحجْر: المنع. استحجر بكلامي: منعني.

ومن الحجَر: الصخرة، أنتقلُ إلى العبارة الثانية؛ (استحجر الطين)، إذ دلّت على أنّ "الطين" الـذي هو مادّة ليّنة، صار حجراً، أي كالحجر، وتمثَّل به، لاشتراكه معه بالصلابة التي طرأت عليه.

---

[١] الزَّبيديّ، **تاج العروس**، مادة "ه ت ر".

[٢] ينظر: **المصدر نفسه**، مادة "هـ ت ر".

[٣] الزَّبيديّ، **تاج العروس**، مادة "ج ر أ".

وفي هذه الصيغة تحديداً أجدني أميل إلى أنّ الأصل ذا الجذر الثلاثيّ يحمل أصلاً بعض المعنى المقصود أمّا الزوائد فهي ليست إلا إضافات لها تأثيرات صوتيّة تعطيها الصيغة بأكملها وليست السين والتّاء.. ثمّ تحلّت معانٍ خاصّة قد لا تحملها صيغة ثانية، وهذا مسوّغ اختلاف استفعل عن افتعل مثلاً.

ومنه: «استنوقَ الجملُ»[١]، و"استنوق الجملُ" فيها التّحوّل والصيرورة ثمّ جرت مجرى المثل. ووردت لها قصّة في هامش التّاج: أنشد المسيّب بن علس: وقد تلافى الهمَّ عند احتضاره /// بناجٍ عليه الصيعريّة مِكْدَمِ

وطرفة بن العبد حاضر، وهو غلام، فقال: استنوقَ الجملُ، وذلك لأنّ الصيعريّة من سمات النّوق دون الفحول فغضب المسيّب وقال: من هذا الغلام؟ فقالوا: طرفة بن العبد، فقال: «ليقتلنَّه لسانه، فكان كما تفرَّسَ فيه».[٢]

لقد خرج المسيّب باللفظة من مجالها الدلاليّ الاستعماليّ الشّائع إلى مجال آخر لم يعرفوه، وخروجه في هذا التركيب الشّعريّ عن هذا العرف اللغويّ جعلَ طرفةَ يقول له – ساخراً- جملته السابقة: "استنوقَ الجملُ" التي خُلِّدت، وأصبحت مثلاً على التّخليط، وعدم وضع الأشياء في مواضعها؛ لأنّ لفظة "الصيعريّة" لا تُستعمل بهذا المعنى، وهذا الموضع، إذ لا يجوز أن يوصف البعير بصفات الناقة، لأنّ في ذلك إفساداً للمعنى.

والجديد في "استنوق" -كما صرّح ابن سيده- «أنّه لا يستعمل إلا مزيداً. قال ثعلب: ولا يُقال: استناقَ الجملُ. لأنّهم لا يستخدمون "ناق" كما يستخدمون "قام"، والأفعال المزيدة كـ افتعل واستفعل إنما تعتلّ باعتلال أفعالها الثلاثيّة؛ فاستقام اعتلت لاعتلال قام، ثمّ ذكر أنّ "استنوق" جاءت على الأصل ساكنة الفاء ولولا مانع اعتلالها لجرى حكمها مجرى باقي الأفعال»[٣] ومن الملاحظ هنا أنّ "استنوقَ" فيها نوع من الجمود، الأمر الذي منع حملها معانٍ دلاليّة متعدّدة، خلاف "استطاع"، وذلك لأمرين؛ أولاهما وضعها في غير موضعها وربطها بالقرينة "الصّيعريّة" التي قيّدت دلالتها، وحدّدت الخصائص التي يمكن للكلمة أن تحملها، وثانيهما جموديّة الصيغة؛ فهي -كما أشرت- لا

[١] **المصدر نفسه**، مادة "ح ج ر".

[٢] **المصدر نفسه**، مادة "ح ج ر".

[٣] المصدر السّابق، مادة "ح ج ر".

تُستَعمَل إلا زائدة، فأدّى ذلك إلى امتناع إعادتها إلى جذرها وبالتّالي امتناع الإفادة من تعدّد معانيها المعجميّة، فلازمَت ما صارت إليه.

ويبقي هنا السؤال مطروحاً؛ إذا ما اتّخذنا صيغة "استفعل" مركزاً للتّساؤل في أساس مرجعيّة الكشف عن هذا التّعدّد في معاني الصيغة الواحدة "استفعل" أمن معنى الفعل المعجميّ أم من التّركيب؟!

إنّ الصّيغة الصّرفيّة معدَّة لتتأثّر بهذين الأمرين؛ فصيغة "استفعل" تقبل الطلب والتكلّف والصّيرورة. وهذه المعاني اكتسبتها أصلاً من مرونة الجذر اللغويّ واحتوائه على معانٍ متعدّدة متجدّة تَجَدُّد اللغة، ثمّ من التّركيب النّحويّ الذي ضمّ هذه الصيغة ضمن سياقات مختلفة وقرائن محدّدة موجِّهة لمعنىً دلاليّ جديد.

إنّ التزام صيغة صرفيّة واحدة لبابٍ نحويّ يوضّح أنّ علم النّحو يستخدم الصّرف بناءً ثابتاً لتحليلاته وتوضيح رموز علاقاته، فـ«من هذه المباني ما تتضح به الأبواب من حركات إعرابيّة أو رتبة أو مطابقة في الحركة أو مطابقة في مبنى تصريفيّ ما، أو ربط بصورة من الصور التي تترابط بها الكلمات. أو همز أو تضعيف يفيد معنى التّعدية أو غير ذلك من المباني المعبرة عن العلاقات»[(١)] ففي قولنا: جاء زيدٌ ضاحكاً، إنّ ما جعل "الحال" إعراباً لـ "ضاحكاً" هذا البناء الصرفيّ والمعنى؛ فالبناء الصرفيّ هنا هو الاشتقاق "اسم الفاعل"، فالحال يؤتى به لبيان هيئة صاحبه هيئة آنيّة، واسم الفاعل يدلّ على صفة ثابتة في الموصوف، ثمّ إنّ اسم الفاعل قد يجري مجرى الفعل المضارع؛ فالمضارع في آنيته فقط والدليل أنّ جملة الحال في المضارع لا يجوز اقترانها بالتسويف، الأمر الذي جمع بين الحال واسم الفاعل.

وقد جعل سيبويه كلّاً من اسم الفاعل والفعل المضارع في موضع واحد، فالحال نكرة مشتقّة؛ اسماً كان أم فعلاً يحمل مدلولها. فمن "ضاحكاً" في المثال أعلاه نستطيع أن نضع "يضحك" الفعل المضارع الذي يحلّ محلّ النّكرة من جهة ويعطي معنى اسم الفاعل مكانه. ومنه يقول سيبويه: «وذلك قولك: هذا ضاربٌ زيداً غداً. فمعناه وعمله مثل هذا يضرب زيداً [غداً]. فإذا حدّثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك. فهذا جرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى منوّناً»[(٢)] واستشهد سيبويه بقول زهير:[(١)]

[(١)] تمّام حسّان، **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، ص١٣٤.

[(٢)] سيبويه، **الكتاب**، ١٦٤/١.

بدا لي أنّي لستُ مدرك ما مضى ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائياً[٢]

٤- عدول الصّيغة الصّرفيّة عن بابها لخصوصيّة بلاغيّة:

عندما تتغير الصيغة الصرفيّة لبابٍ نحويّ كالحال مثلاً، عمد النّحاة إلى تأويله كي تستقيم الصيغة مع الباب، وعدّوه شاذّاً لا يُقاس عليه فـ «ليس كلُّ المصادر في هذا الباب يدخلُه الألف واللام»[٣]، وهو مشهور كقول العرب: أرسلها العراكَ، أي: معتركةً وهي جامدة مؤوّلة بالمشتقّ.

قال لبيدُ بنُ ربيعةَ:[٤] فأورَدَها العِرَاكَ ولم يذُدْها ولم يُشْفِقْ على نَغَصِ الدِّخالِ[٥]

«كأنّه قال: اعتراكاً».[٦]

وقولنا: "يا له شاعراً!" شاعراً خرجت عن الحاليّة برأي فريق من النحاة؛ لأنّه ثمّة مانع أقوى وهو الإبهام الذي وجب في الجملة قبلها؛ فالقول في: يا له شاعراً! يقصد به: يا عجباً له شاعراً! فإن قلنا: "يا له" نكون قد تعجّبنا وأبهمنا، وإن أتبعنا فقلنا: "شاعراً" «خصّصنا واختصصنا ورفعنا الإبهام، ودللْنا على أنّه متعجّب منه شاعريّته، وبيّنّا في أيّ نوعٍ هو»[٧]، فضلاً عن أنّنا ميّزنا النّوع الذي أوجب له فيه المدح. وإن زدنا فقلنا: يا له من شاعرٍ! أكّدنا، ومنه قول سيبويه: «فتدخل من ههنا كدخولها في كم توكيداً»[٨] وهذا تمييز غير محوّل، "سماعيّ" له طبيعة خاصّة شذّت عن أصل القاعدة، فتمّ تأويلها وتعليلها لمناسبة الباب الذي أُدخلت فيه.

إنّ الكلمات في العربيّة من حيث إنّها مشتقّة قد تُصَنَّف في مجموعات وكلّ مجموعة تنتمي إلى حقل واحد ذي جذر ثلاثيّ واحد؛ كالصيغ: كتَبَ-يكتبُ-اكتبْ-كاتب-مكتوب-مكتب.. وكلّها ترجع إلى الجذر اللغويّ "ك-ت-ب" وإذا ما عدنا إلى المعجم اللغويّ وجدنا معنىً أو أكثر محدّداً

---

[١] زهير بن أبي سُلمى، **الدّيوان**، ص١٤٠.

[٢] بدا لي: علمتُ، ويروى "ولا سابقي شيءٍ" بدل "ولا سابقاً شيئاً".

[٣] سيبويه، **الكتاب**، ٣٧٢/١.

[٤] لبيد بن ربيعة العامريّ، **الدّيوان**، ص٧٠.

[٥] لم يذُدها: أي لم يحبسها، الدِّخال: أي أن يشربَ بعضها ثمّ يرجع فيزاحم الذي على الماء.

[٦] سيبويه، **الكتاب**، ٣٧٢/١.

[٧] ينظر: سيبويه، **الكتاب**، ١٧٤/٢.

[٨] سيبويه، **الكتاب**، ١٧٤/٢.

لكلّ جذر، حيث تبدأ الصيغة بالتّحوّل حسب القرينة فإننا نجدها تخرج عن أصلها قليلاً إلى معانٍ أخرى تفرضها الصيغة الجديدة بالتعاون مع قرينة السياق، فالاختلاف من حيث الصيغة مثلاً بين: كتب و يكتبُ؛ والفارق دخول ياء قبل الفاء اصطلحوا على تسميتها بـ"ياء المضارعة" ممّا أكسبَ الحدث دلالة الحاضر الزمنيّ، في حين كانت قبل دخول "الياء" قد اكتسبت دلالة الماضي الزمنيّ؛ مع اشتراكهما في الحدث.

وكذلك بين الصيغتين الصرفيتين كاتب "فاعل"، مكتوب "مفعول" أيضاً يقول تمّام حسّان: «إنّ صورة كل كلمة منها ليست مقصورة على هذه الكلمة، وإنّما هي قالب تصبّ فيه كلمات ذوات اشتقاقات أخرى. وهكذا عرف النحاة (أو اكتشفوا) أصلاً آخر لا يكون أصل الوضع إلا به وهو ما يُعرَف بأصل الصيغة».[١]

إذن ثمّة ارتباط بين (أصل الاشتقاق وبين أصل الصّيغة) إذ يتولّد منهما صيغاً عديدة متقاطعة مع بعضها بعضاً، مثل: كاتِب صيغة أصلها الاشتقاقي كاتِب/ قائل صيغة أصلها الاشتقاقيّ قاول (فالأولى نطقيّة والثانية ذهنيّة).[٢]

يقول تمام حسان: «والعلاقة بين أصل الاشتقاق (فاء الكلمة وعينها ولامها) وبين أصل الصيغة هي علاقة التقاطع».[٣]

وقد شبّهها تمام حسان بعلاقة المخارج بالصفات في جدول أصوات؛ فمخرج الضاد من حافة اللسان بحيث يتمّ إطباق اللسان على الأضراس فيُحبَس الهواء فتخرج وكأنك قد أطبقت غطاءً على حجرة صوتيّة حيث فيها الهواء ليشتدّ الصوت قوة وعمقاً، وهكذا الضاد ممّا أعطاها صفة الإطباق، وهذه الصفة إن اختلّت فإنّ ذلك ضرورةً بسبب اختلال مخرج الحرف.

الاستخدام الفنّيّ للألفاظ:

إنّ في اللغة العربيّة كنزاً متناهياً من الألفاظ، وعندما تسند إلى بعضها بعضاً إسناداً منطقيّاً فإنّها تنتج علاقات ومعانيَ لا متناهية، فكيف إذا استُخدِمت هذه الألفاظ في إسناد غير متوقَّع؟! إنّه من

---

[١] تمّام حسّان، **الأصول: دراسة إبيستمولوجيّة في أصول الفكر اللغويّ العربيّ**، ص١١٦.

[٢] ينظر: **المصدر نفسه**، ص١١٧.

[٣] **المصدر نفسه**، ص١١٦.

الثروات البلاغيّة التي تولّدت من المجاز والكناية والاستعارة، وقد تُخرج تلك الأساليب البلاغيّة ما يثري المعنى إثراءً لا تؤدّيه العلاقة المنطقيّة بين الألفاظ.

وفي المجاز خروج عن المألوف كما عهدنا، "فكأنّ "المجاز" في "علم الدّلالة" الحديث نوع من التّغيّر الدّلاليّ فهو لا يتّسم بالثّبات، بل يرتبط بالمكان والزّمان"[١]،ولكن لا بدّ لهذه العلاقة من تداعيات وخصائص تربط بين اللفظ المستخدَم والمعنى المعهود في الذّهن، ومثل ذلك كثير في العربيّة؛ كقوله تعالى: ﴿وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءَكِ و يا سماءُ أقلعي وغيض الماء وقُضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيلَ بُعداً للقوم الظّالمين﴾ (هود: ٤٤)، ففي قوله تعالى: "يا سماء أقلعي" لا يقصد السّماء وإنّما السّحاب المتسبِّب بالأمطار التي ساعدت على وجود الطّوفان؛ لأنّ الأرض تفجّرت عيوناً، ولأنّ السّماء امتلأت سحاباً؛ فكان الماء من الأرض، وكان أيضاً من السّماء، وحين أمرَ اللهُ السّحاب أن يزول قال: "يا سماء أقلعي". وإن أنعمنا النّظر قليلاً في العلاقة بين السّحاب والسّماء لوجدنا أنّ السّماء محلّ والسّحاب حالّ في هذا المحلّ المحدّد، وكقوله تعالى: ﴿واسألِ القريةَ التي كنّا فيها﴾ (يوسف: ٨٢)، يعني: أهل القرية؛ إذ أُطلق اسم المكان على من يحلّ فيه؛ لذا وضع علماء البلاغة نوعاً لهذه العلاقة وهي العلاقة المحليّة؛[٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ (البروج: ١٩)، فالتّكذيب ليس هو المقصود، ولا يحلّ فيه الإنسان، وإنّما يحلّ في مكان التكذيب؛ فالتّكذيب حالّ في محلٍّ التّكذيب؛ إذ أطلق الحالّ وأُريدَ المحلّ، لذا علاقته الحالّيّة.[٣]

وفي الاستعارة كثير من فنون اجتماع لفظ مع آخر لا يقتضيه؛ كما في قوله تعالى: ﴿واشتعل الرّأس شيباً﴾ (مريم: ٤)، وهي جزء من آية دعا فيها زكريا -عليه السّلام- ربَّه، فقال: ﴿ربِّ إنّي وهن العظم منّي واشتعل الرّأس شيباً ولم أكن بدعائك ربِّ شقيّاً﴾. والآية تفسيرٌ وبيانٌ لقوله تعالى قبلُ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم: ٣٤)؛ ولذلك ترك العاطف بينهما؛ لشدَّة الوصل. وقوله: (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي). أي: ضعف العظم، ورقَّ من الكبر. وإنما ذكر ضعف العظم؛ لأنه عموم البدن، وبه قوامه، وهو أصل بنائه. فإذا وهن العظم، دل على ضعف جميع البدن؛ لأنه أشد ما فيه وأصلبه، فوهنُه يستلزم وهن غيره من البدن. وقوله: (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً). أي: انتشر بياض الشيب في الرأس انتشار النار

---

[١] محمّد مصطفى هدّارة، **في البلاغة العربيّة- علم البيان**، ص٥٢.

[٢] ينظر: محمّد مصطفى هدّارة، **في البلاغة العربيّة /علم البيان/**، ص٦١.

[٣] ينظر: **المصدر نفسه**، ص٦٢.

في الهشيم. والشيب: بياض الشعر، ويعرض للشعر البياض بسبب نقصان المادة التي تعطي اللون الأصلي للشعر ونقصانها، بسبب كبر السن غالبًا؛ فلذلك كان الشيب علامة على الكبر. والاشتعال يكون للنار شبِّه به انتشار الشيب في الرأس على سبيل الاستعارة؛ وهذه الاستعارة لحسنها وطلاوتها جعلها الجرجاني من الاستعارة التي «تقع الشبهة فيها بين اللفظ والنّظم»[١]، وهذا الوجه من الاستعارة قد أتاه الحسن من الجهتين، ووجبت له المزية بكلا الأمرين[٢][٣] و يكاد يجمع علماء البلاغة على أن الاستعارة في هذه الجملة من ألطف الاستعارات وأحسنها لفظًا ومعنى، فقد جمعت بين الإيجاز والإعجاز؛ إذ فيها من فنون البلاغة، وكمال الجزالة ما لا يخفى، حيث كان الأصل أن يقال: "واشتعل شيبُ الرأس"؛ وإنما قلب للمبالغة، فقيل: "واشتعل الرأس شيبًا"، "وذلك أنّا نعلم أنّ "اشتعل «للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ»[٤] كقولهم: «"طابَ زيدٌ نفساً" أنّ "طاب" للنّفس، وإن أُسنِد إلى ما أُسند إليه»[٥] فأفاد بذلك مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى، الشّمول، وأنّه قد شاع فيه،. وأنّه قد استغرقه وعمَّ جملته، حتّى لم يبقَ من السّواد شيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يُعتدّ به. وهذا ما لا يكون إذا قيل: " اشتعل شيبُ الرأس "، أو "الشيب في الرّأس،" بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة. ووِزان هذا أنّك تقول: "اشتعل البيت نارًا "، فيكون المعنى: أنّ النار قد وقعت فيه وقوع الشمول، وأنها قد استولت عليه، وأخذت في طرفيه ووسطه. وتقول: " اشتعلت النار في البيت "، فلا يفيد ذلك، بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه، وإصابتها جانباً منه.

فأمّا الشّمول، وأن تكون قد استولت على البيت وابتزّته، فلا يعقل من اللفظ البتّة. ونظير ذلك في القرآن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وفجّرنا الأرضَ عيوناً﴾ (القمر: ١٢)، فـ"التّفجير" هنا للعيون في المعنى، وأُوقِع على الأرض في اللفظ؛ كما أسند هناك الاشتعال إلى الرّأس، وقد حصل بذلك من معنى الشّمول ههنا مثل الذي حصل هناك. وذلك أنّه قد أفاد أنّ الأرض قد صارت عيوناً كلّها، وأنّ الماء يفور من كلّ مكان منها. ولو أجري اللفظ على ظاهره فقيل: "وفجّرنا عيونَ الأرض"، أو "العيون في

---

[١] عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٠٠.

[٢] أي اللفظ والنّظم.

[٣] يُنظر: عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٠٠- ١٠١.

[٤] **المصدر نفسه**، ص١٠٠.

[٥] ينظر: **المصدر نفسه**، ص١٠٠- ١٠١.

الأرض"، لم يفد ذلك المعنى، ولم يدلّ عليه، ولكان المفهوم منه أنّ الماء قد كان فارَ من عيون متفرّقة في الأرض، وتبجَّس في أماكن منها. «واعلم أنّ في الآية شيئاً آخر من جنس "النّظم"، وهو تعريف "الرّأس" بالألف واللام، وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة، اكتفاءً بما قيّد به العظم في قوله تعالى: (وهنَ العظم منّي) وهذا أحد ما أوجب المزيّة. ولو قيل: "واشتعل رأسي"، فصُرِّح بالإضافة، لذهب بعض الحُسن» [١].

والآن لماذا أسند اشتعال الشيب إلى "الرّأس"، ولم يسند إلى "الشّعر"، وهو المراد؛ كأن يقال: "واشتعل الشّعر شيباً"؟ والجواب عن ذلك أن يُقال: إنّ "الرّأس" هو مكان الشعر ومنبته، فأسند إليه الاشتعال، ولم يسند إلى الشّعر؛ لأنّ الرّأس لا يعمّه الشّيب إلا بعد أن يعمّ اللحية والشّاربين غالباً، فعموم الشّيب في الرّأس أمارة التّوغّل في كِبَر السّنّ؛ ولذلك يقال للشّيب إذا كثر جدّاً: "قد اشتعل رأس فلان"، و "شابَ رأس فلان".

وإنّ هذا الاستخدام الفنّيّ لا يحدث بلفظ واحد فقط؛ فلو أخذنا كلّ لفظ على حدة وأنعمنا النظر فلن نجد إلا تلك المعاني المعجميّة المعروفة لـ"اشتعل" و "الرّأس" و "شيباً"، وهذا يؤكّد أنّ إسناد المخالفة هو الذي يولّد الاستخدام الفنّيّ الخاصّ للألفاظ «فلا يُتصوَّر أن يكون ههنا "فعل" أو "اسم" قد دخلتْه الاستعارة، من دون أن يكون قد ألّف مع غيره. أفلا ترى أنّه إنْ قدّر في "اشتعل" من قوله تعالى: (واشتعل الرّأس شيباً)، أن لا يكون "الرّأس" فاعلاً له، ويكون "شيباً" منصوباً عنه على التّمييز، لم يُتصوَّر أن يكون مستعاراً، وهكذا السّبيل في نظائر "الاستعارة»[٢] «وهذا ضربٌ من ضروب المجاز مُعجِزٌ».[٣]

ونظراً لهذه المرونة التي تنماز بها التّراكيب اللغويّة فقد فسحت مجالاً واسعاً للانفتاح على دلالات إضافيّة تحملها مكوّنات خطابيّة تخالف المألوف منها وتقصد بذلك المعاني المجازيّة التي تتجلّى من خلال الخطابات الفنّيّة، وفي هذا نورد عن "سيبويه" عيّنات مثل: «سيرَ عليه شديداً، معلّقاً عليه بقوله: فتجري على الفعل في الكلام اتّساعاً واختصاراً، ومن ذلك: صيدَ عليه يومان، ووُلد

---

[١] ينظر: عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٠٢.

[٢] عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص٣٩٣.

[٣] المصدر السّابق، ص٣٩٣.

له ستّون عاماً. والمعنى إنّما هو: صِيدَ عليه الوحش في يومين، ووُلد له الأولاد ووُلد له الولد ستون عاماً، غير أنّهم أوقعوا الفعل عليه لسعة الكلام».[1]

ونستشفّ ممّا سبق أنّ سيبويه يذهبُ إلى أنّ الانزياح اللغويّ يؤدّي إلى انزياح دلاليّ؛ أي أنّه يخلق آثاراً بلاغيّة وخاصّة على مستوى النّصوص الأدبيّة؛ أو تتضمّن نسقاً مزدوجاً من الدّوالّ والمدلولات، تؤدّي الدّوالّ الأولى مدلولات أوّليّة مباشرة وهي الدلالة التّصريحيّة المفهومة من ظاهر التّركيب تحيلنا إلى مدلولات ثانويّة غير مباشرة وهي الدّلالة الإيحائيّة المستوحاة من النّظام الدّلاليّ الأوّليّ.

خاتمة ونتائج:

إن ما خلص إليه البحث يمكن أن يمخض منه ما يلي:

١. المعنى الدّلاليّ الجديد يحدث من انحراف طرفي التّركيب وهذا الانحراف يتبع مسألة الأغراض والمقاصد الكامنة في ذهن المنتِج التّركيب، وشرط ذلك حصول الفائدة.
٢. لكلّ بنية تركيبيّة معناها ومقصدها وغايتها التّداوليّة، ولكلّ صيغة لفظيّة وظيفة إبلاغيّة توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه، من مراعاة حال السّامع والفائدة التي يجنيها.
٣. إنّ عدول الكلمة من بنية إلى بنية، أو من صيغة إلى ثانية يؤثّر في دلالتها بتأكيدها والمبالغة فيها..
٤. إنّ عدول الكلمة عن أصل المعنى المعجميّ يؤثّر في دلالة التّركيب بما يبعثه من ظواهر بلاغيّة كالمجاز وغيره.
٥. إنّ مرونة الصّيغة الصّرفيّة المحدّدة التي تحمل في الظاهر معنى محدّداً في موضعين مختلفين يجعلها تحمل تفصيلاً دقيقاً يميّز كلّ استعمال لها عن الآخر، عن طريق القرائن السّياقيّة الدّالّة عليها.
٦. إنّ التزام صيغة صرفيّة واحدة لباب نحويّ يوضّح أنّ النّحو يستخدم الصّرف بناءً ثابتاً لتحليلاته، وتوضيح رموز علاقات بُناه التّركيبيّة.

---

[1] ينظر: سيبويه، **الكتاب**، ٢١١/١، ٢٢٨، ٢٣٠.

٧. إنّ المرونة التي تنماز بها التّراكيب اللغويّة قد فسحت مجالاً واسعاً للانفتاح على دلالات إضافيّة تحملها مكوّنات خطابيّة تخالف المألوف منها، كالمعاني المجازيّة التي تتجلّى من خلال الخطابات الفنّيّة.

٨. إنّ الانزياح اللغويّ يؤدّي انزياحاً دلاليّاً؛ حيث إنّه يخلق آثاراً بلاغيّة وخاصّة على مستوى النّصوص الأدبيّة.

قائمة المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. أبو تمّام، **الدّيوان**، شرح الخطيب التّبريزيّ، تح: محمّد عبده عزّام، ط٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٣. الجرجانيّ، عبد القاهر ، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمّد شاكر، ط٥، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٤. ابن جنّيّ، **الخصائص**، تح: عبد الحميد هنداويّ، ط٣، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥. حسّان، تمّام، **اللغة العربيّة معناها ومبناها**، دار الثّقافة، ١٩٩٤.

٦. حسّان، تمّام، **الأصول** /دراسة إيبستمولوجيّة لأصول الفكر اللغويّ العربيّ/، عالم الكتب- القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧. الزّبيديّ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٨. ابن أبي سُلمى، زُهير، **الدّيوان**، شرح وقدّم له: أ. علي حسن فاعور، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٩. سيبويه، **الكتاب**، تح: عبد السّلام محمّد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٠. الشوكانيّ ت١٢٥٠هـ، **فتح القدير**، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

١١. صحراويّ، د. مسعود، **التداوليّة عند العلماء العرب**، ط١، دار الطّليعة- بيروت، ٢٠٠٥.

١٢. العامريّ، لبيد بن ربيعة، **الدّيوان**، اعتنى به: حمدو طمّاس، ط١، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٣. العسكريّ، أبو هلال، **الفروق في اللغة**، تح: محمّد إبراهيم سليم، د.ط، دار العلم والثّقافة، القاهرة، د.ت.

١٤. القزوينيّ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: إبراهيم شمس الدّين، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ٢٠٠٣، ١٤٢٤هـ.

١٥. لاشين، عبد الفتّاح، **التراكيب النحوية من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ**، دار المريخ، الرّياض، د.ت.

١٦. ابن منظور، **لسان العرب**، تصحيح: أمين محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصّادق العبيدي، دار إحياء التّراث العربيّ- مؤسّسة التّاريخ العربيّ، بيروت-لبنان.

١٧. ابن الأنباريّ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد بن أبي سعيد، **الإنصاف في مسائل الخلاف** ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، د.ط، دار الطّلائع، ٢٠٠٩.

١٨. النّسفيّ، أبو البركات ت٧١٠هـ، **تفسير القرآن الجليل**، د.ط، المكتبة الأمويّة، بيروت-دمشق، مكتبة الغزالي، حماه، د.ت.

١٩. هدّارة، د. محمّد مصطفى، **في البلاغة العربيّة /علم البيان/**، ط١، دار العلوم العربيّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

شکل‌گیری زبان شعری از معیار تا انتخاب

حسین حبیب وقّاف *؛ نور مأمون یحیی **

مقالۀ علمی - پژوهشی صص ۷۸- ۵۳

DOI: 10.22075/lasem.2023.8239

چکیده

این پژوهش رابطه بین شکل‌گیری سطح بیانی و ترکیب واژگان را بررسی می‌کند، و تفاوت معنایی میان معنی لغوی واژه و معنی آن در ساختار کلام علاوه بر بیان شکل‌گیری بیانی مربوط به آن را نشان می‌دهد. سپس آنچه از ساختار دستوری با معنا، نحوۀ بیان معنا از طریق ساختار، رابطه انواع ساختار در زبان با عملکرد معنا و تأثیر ساختارهای مختلف در جهت‌دهی معانی بررسی می‌کند. همچنین دگردیسی معنایی در واژه با مطالعۀ تفاوت معنای نهفته در خود واژه و معنای ناشی از ترکیب واژگان در کاربردهای مختلف بررسی می‌شود. علاوه بر این، تغییر قرینه‌های معنایی و تأثیر آن در تغییر مدلول و بروز معنا در خود واژه را مطالعه می‌کند. همچنین از آنجایی که کابرد متفاوت واژه در کلام منجر به بروز دلالت معنایی نو می‌شود، سعی ما در این پژوهش بر آن است تا کاربرد بیانی واژه‌ها را بیان کنیم. از دیگر رو، این تحقیق بر موضوع اهداف و مقاصد ساختارهای دستوری، مانند تقدیم وتأخیر در ساختار اسنادی، و انحراف معنایی ناشی از آن که توجه خواننده را به کاربرد معنایی و دلالی دیگر جلب می کند متمرکز است، و این جنبه بر روشن ساختن مفهوم در ذهن مخاطب متکی است از آنجایی که هر ساختار معنا یا مدلول مخصوص به‌خود را دارد، لذا هر روش گفتار منجر به تفاوت مقصد گفتمان می‌شود. این تحقیق نشان می‌دهد که زبان عبارت است از هر لفظی است که یک گوینده برای یک هدف خاص در یک مقام وجایگاه مخصوص برای یک مخاطب ذهنی مشخص تلفظ می‌کند. افزون بر این، این تحقیق به قالب صرفی نیز توجه دارد که این قالب نقش عمده‌ای در کاربرد معنایی واژه را ایفا می‌کند چون که ساختار کلمه یا قالب صرفی آن با کاربرد معنایی آن مرتبط است.

کلیدواژه‌ها: دگردیسی، ساختار، معناشناسی، اسناد، قرینه‌ها.

---

* – استاد گروه زبان عربی، دانشگاه تشرین، لاذقیه، سوریه.(نویسنده مسؤول).ایمیل: dr.h.wakkaf.@maktoob.com

** – کارشناسی ارشد گروه زبان عربی، دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه تشرین، لاذقیه، سوریه.

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۱/۳۰هـ.ش= ۲۰۲۲/۰۴/۱۹م – تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۰۶/۰۶ هـ.ش= ۲۰۲۲/۰۸/۲۸م.